المسارات السياحية والتنمية الثقافية بواحات ما قبل الصحراء: واحات باني جنوب المغرب نموذجا

أ د. البشير أبرزاق

كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة ابن زهر أكادير/ المغرب

*

الملخص

إن هذا العمل هو خلاصة تجربة ميدانية، قد عملنا من خلاله على الوقوف عند مقاربة الفعل السياحي في علاقته بالتراث الثقافي وسؤال التنمية الثقافية البديلة، وكذا أهمية المسارات السياحية باعتبارها إحدى أدوات تسهيل الاستكشاف السياحي للمعالم التراثية المختلفة بما تعبر عنه من مضامين ثقافية يمكن استثمارها في تحقيق التنمية المستدامة. وقد اتخذت الدراسة مكون السياحة الدينية بواحات ماقبل الصحراء الإفريقية من خلال نموذج واحات باني جنوب سلسلة جبال الأطلس الصغير بالمغرب، موضوعا لها.

Abstract

This study is the conclusion of a field experience, through which we have worked to stand up to the approach of the tourist act in relation to cultural heritage and the question of alternative cultural development, as well as the importance of tourist routes as one of the tools to facilitate the tourist exploration of various heritage monuments with cultural contents that can be invested in achieving sustainable development. The study took the component of religious tourism in the Afro-Saharan oases through the model of oases the Bani south of the small Atlas series mountains in Morocco, as its theme.

مقدمة:

لسنا في حاجة للتأكيد على أن الثقافة والتنمية وجهان لعملة واحدة، فلا يمكن تنزيل التصورات التنموية دون إدراك أسسها وأبعادها الثقافية، إلى جانب مختلف الأبعاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية. ولم يعد الإقرار بأهمية الثقافة في تنمية المجتمعات موضع شك وجدال بين كل المهتمين والفاعلين محليا وإقليميا وعالميا. وهو وعي لم يكن وليد اليوم، بل نتاج تراكم مختلف التحولات التي شهدتها المجتمعات الإنسانية داخليا وخارجيا.

وانسجاما مع أهداف مؤتمر" المفرق، التراث الثقافي ومحيطها البيئي(مقصد سياحي عالمي)"، يسعى هذا المقال للوقوف عند مقاربة ثنائية الفعل السياحي والثقافة في بعدها التراثي، وعلاقتهما بسؤال التنمية البديلة، إلى جانب إبراز أهمية المسارات السياحية باعتبارها إحدى أدوات التعرف على المعالم التراثية المختلفة بما تعبر عنه من مضامين ثقافية يمكن استثمارها في تحقيق التنمية المستدامة.

وقد اتخذت الدراسة مكون المعالم التراثية الدينية من مساجد وبيع وزوايا وأضرحة، موضوعا لاستكشاف أهمية السياحة ذات الطابع الديني والروحي بواحات ماقبل الصحراء الإفريقية من خلال نموذج واحات باني جنوب سلسلة جبال الأطلس الصغير بالمغرب.

وانتظمت هذه المداخلة في ثلاثة محاور كبرى تم التمهيد لها بمدخل مفاهيمي، وهي:

- أولا: البعد الثقافي في السياحة الواحية وعناصر التراث الثقافي بواحات باني؛
- ثانيا: المسارات السياحية والتنمية الثقافية بواحات باني: المعالم الدينية نموذجا؛
- ثالثا: مقترحات في سبيل تثمين التراث الثقافي بواحات باني.

تمهيد: الإطار المفاهيمي والمجالي للدراسة

لا يستدعي المقام التفصيل في المفاهيم المؤطّرة لهذه الدراسة، لكن الضرورة المنهجية تفرض أن نذكّر بمختلف معانيها الجامعة في هذا التمهيد، وجاءت كالآتي:

- التراث الثقافي:

يُنظر للتراث الثقافي في معناه الشمولي الحديث باعتباره إرثا ثقافيا تتناقله الأجيال عن طريق التأثير والتأثر من جهة أولى، وانعكاسا طبيعيا للخبرة البشرية العقلية والروحية في مختلف الميادين والمجالات من جهة ثانية، وباعتباره جزءا من السيرورة التاريخية للإبداع الإنساني من جهة ثالثة.

إن الوعي بأهمية التراث الثقافي في بناء مقومات الحضارة الإنسانية قد حصل لدى مختلف الفاعلين أفراد ومؤسسات منذ القرن الثامن عشر على الأقل، وخاصة

في الولايات المتحدة الأمريكية وإيطاليا وألمانيا، ثم فرنسا وإنجلترا؛ خاصة بعد الثورتين الفرنسية والصناعية، لما صاحبها من تحولات مؤثرة في الوعي الفردي والجماعي للإنسان الأوربي وانتمائه الوطني من خلال الارتباط بكل ما يدخل ضمن ذاكرته وماضيه وآثارهما[1]. ومن ثمة شكل الحفاظ على التراث مدخلا رئيسا لحفظ ذاكرة وهوية الأمم وذاتيتها الثقافية، كما أن فقدانه هو فقدان للذاكرة وللهوية[2]. وعليه فلا حديث عن" هوية بدون تراث تستند إليه، ولا تراث إذا لم يؤسس للهوية. فالتراث والهوية عنصران متلازمان من عناصر الذات، ومكونان متكاملان من مكونات الشخصية الفردية والجماعية"[3].

وبانتشار المعنى الثقافي للتراث تداولت الدراسات الحديثة مفهومه الذي" يشمل كل ما خلفه لنا الأجداد من محسوسات ومعنويات(...) بل كل ما وصل إلينا مكتوبا في علم من العلوم أو محسوسا في فن من الفنون، مما أنتجه الفكر والعمل في التاريخ الإنساني"[4]. سواء: المادي الثابت، الأثري أو العمراني (المواقع الأثرية، البنايات، ...)، أو المنقول (الأدوات، القطع الأثرية، المخطوطات، .....)، وغير المادي (التقاليد، العادات، المعتقدات...). وهو التعريف نفسه الذي تبنته منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (UNESCO) في اتفاقية حماية التراث العالمي

[1]- للتفصيل ينظر: محمد الناصري، "التراث وامتداداته كمجال عام"، صمن **مجلة هسبريس تمودا**، العدد 45، 2010، ص ص 11- 23.

[2] - Dominique, Poulot. **Patrimoine et modernité**, éditions L'harmattan ,1998, p. 9.

[3]- عبد العزيز بن عثمان التويجري، **التراث والهوية**، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة- إيسيسكو-، مطبعة الأيسيسكو، الرباط، 2001، ص 20.

[4]- **نفسه** ، ص 12.

الثقافي والطبيعي، التي أقرها المؤتمر العام للمنظمة في دورته السابعة عشرة بباريس يوم 16 نونبر 1972.

- المسارات السياحية:

تعد المسارات أو الدوائر السياحية إحدى أدوات تسهيل الاستكشاف السياحي للمكان ومعالمه التراثية المختلفة، وتعني تلك الطرق التي تربط" بين عدة واجهات سياحية أساسية، وغالبا ما تكون هي المقصد الذي يسافر السياح لزيارته خصيصا"[5]، مع ما يقتضيه ذلك من استكشاف لمكونات التراث الطبيعي والثقافي والتاريخي للمناطق التي تمر منها تلك المسارات.

وتختلف المسارات السياحية تبعا لاختلاف أشكالها وأنواعها: فمن حيث أشكالها أو اتجاهاتها تتخذ نمطين أساسيين: المسار الدائري؛ وهو الذي تبدأ فيه الرحلة وتنتهي في نفس المكان، والمسار على شكل طريق؛ وهو الذي تختلف فيه منطقة بداية المسار عن منطقة نهايته.

أما من حيث أنواعها، فهي متعددة بتعدد مواضيعها السياحية، فهناك المسارات الأثرية والتاريخية والثقافية؛ التي تربط بين معالم تاريخية وأثرية في مناطق مختلفة، وهناك المسارات الطبيعية التي تربط بين المشاهد والمعالم التراثية الطبيعية، ومنها المسارات الخاصة بمناطق الترفيه والاستجمام، وغيرها[6].

[5]- محمد محمد شوقي أبوليله ومهند علي فوده، "المسارات التراثية السياحية كأداة لتحقيق التنمية المستدامة للمدن"، **مجلة جامعة الأزهر**، المجلد 12، العدد 4، يناير 2017، ص377.

[6]- للتفصيل في موضوع المسارات السياحية وأنواعها، يرجع إلى:

Signalisation Politique de touristique, Routes et Circuits touristiques, Bibliothèque et Archives Canada, 2006, pp.6-8.

- التنمية الثقافية:

تعرف التنمية في معناها المتداول اليوم بمعنى التحول الذي يحصل في مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وغيرها، والذي يمكّن من تحقيق تقدم مستدام للموارد وحياة الرفاه للسكان، مع ما يقتضيه ذلك من استحضار للخصوصيات والأولويات والحاجيات.

ومن المفاهيم الحديثة المرتبطة بالتنمية، نجد مفهوم التنمية الثقافية؛ الذي يعتمد الثقافة؛ باعتبارها نظامًا بيئيًا ومِلكا جماعيا ناتجا عن الروابط التاريخية والاجتماعية والأخلاقية والعلمية لمجتمع ما، وبالنظر إليها إرثا وأساسا للتنمية المجتمعية من جهة، وموضوعا وأداةً للتنمية المستدامة من جهة أخرى.

إن المنظور الثقافي للتنمية يستوجب البحث في مختلف الأبعاد الجامعة؛ الإنسانية والقِيَمية والتراثية والنفعية، وجعلها منطلقا للبناء المجتمعي المستمر، وآلية للمساهمة في الرفاه الاجتماعي وتقليل التفاوتات والمشاركة الجماعية في الإنتاج واتخاذ القرار.

- الواحات المغربية:

الواحات في عمومها مجالات طبيعية وحيوية خاصة، يمتد انتشارها في المغرب على مساحة 115365كلم مربع بحوالي 16% من مجموع مساحة المغرب، وتشمل مناطق من المجالات الممتدة على دير الأطلس الصغير، ووادي درعة، ووادي زيز

ودادس وتافيلالت وفكيك، مقسمة إلى أربعة أحواض كبرى، وهي: حوض فكيك، وحوض زيز، وحوض درعة، وحوض گلميم (أنظر الخريطة رقم1).

وقد أسهم الموقع الجغرافي والاستراتيجي للواحات المغربية في جعلها خلال فترات تاريخية ممرا للقوافل التجارية العابرة للصحراءk وصلة وصل حضارية بين شمال الصحراء الإفريقية الكبرى وجنوبها، إلى الحد الذي جعل من دراسة تاريخ تجارة القوافل جزءا لا يتجزأ من تفسير ازدهار الواحات وتأثيرها في التاريخ[7].

ومن جهة أخرى استطاع الانسان الواحي أن يتكيف مع خصوصيات الواحة وأن "يشيد بها لنفسه محيطا بيئيا، وثقافة اجتماعية واقتصادية متميزة وخاصة"[8]، أو إن شئنا قلنا "تراثا واحيا" تَشَكَّل في مقوماته نتيجة مختلف التفاعلات بين المجال باعتباره قاعدة طبيعية، و الإنسان باعتباره عنصرا فاعلا[9]. ذلك أن الارتباط

[7]- محمد أعفيف، **توات، مساهمة في دراسة مجتمعات الواحات وتاريخها**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة رسائل وأطروحات رقم 70، مطبعة أبي رقراق للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، الرباط، 2004، ص 58.

[8]- عبد الرحمان العثماني، "التعمير والعمران الواحي: قصور وواحات فكيك نموذجا"، ضمن **ندوة التراث الثقافي المادي بجهة سوس ماسة درعة**، المنظمة يومي 13و14 مارس 2009، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية أكادير، منشورات مركز الدراسات التاريخية والبيئية بالمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية بالرباط، سلسلة دراسات وأبحاث رقم 35، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2013، ص 74.

[9] - Mohamed, Mouhiddine. « Protection et valorisation du patrimoine naturel du Bas Drâa », in **conférence internationale: patrimoine culturel matériel dans la Région Sous - Massa – Drâa**, à la faculté des lettres et des science humaines Agadir (13- 14 Mars 2009), publication de l'Institut Royale de la Culture Amazighe, Série : Colloques et séminaire N° 35, Imprimerie El Maarif Al jadida, Rbat, 2013, p.308.

بالأرض، أعطى للواحة معنى أكثر شمولية ذا أبعاد ثقافية متميزة، وبمكونات تراثية عريقة ومتنوعة[10].

الخريطة رقم 1: مناطق الواحات بالمغرب

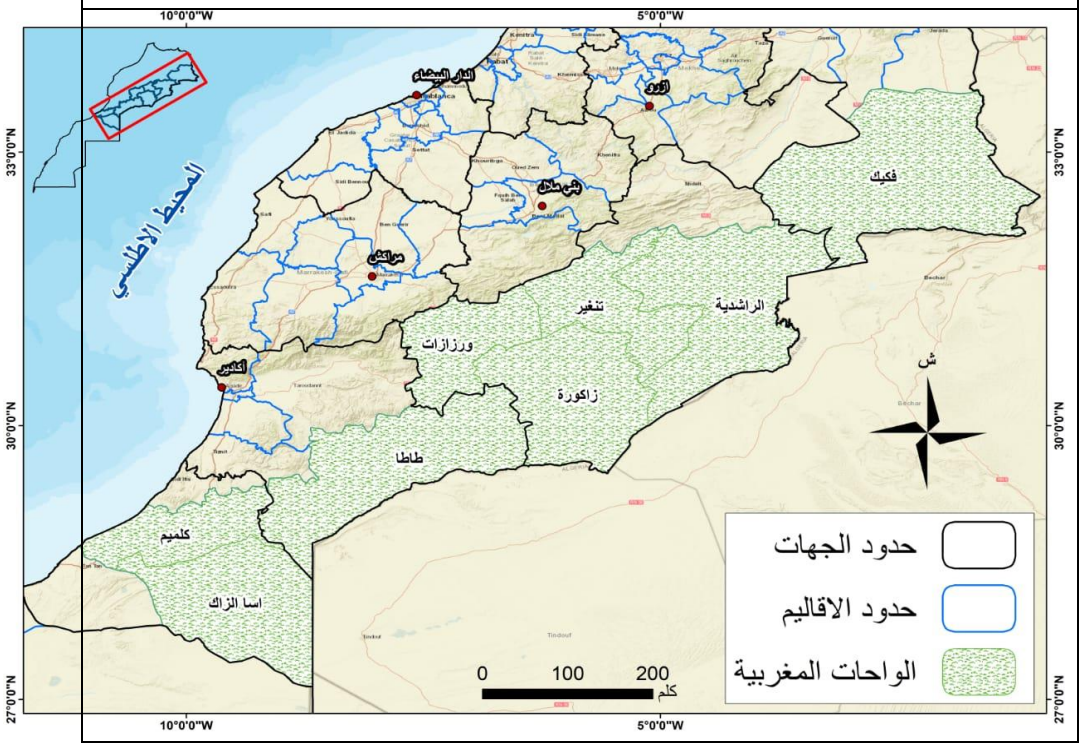

- واحات باني:

يقصد ببلاد باني عموما ذلك الشريط الممتد جنوب سلسلة جبال الأطلس الصغير. وقد استمدت تسميتها من الكتلة الجبلية المسماة بـ" جبل باني" والتي تربط ما بين مشارف واد نون في الجنوب الغربي، ومشارف جبل صاغرو في منطقة زاكورة

[10] - مصطفى نامي، "مجتمع الواحات: تراث ثقافي بأبعاد إنسانية"، **مجلة المأثورات الشعبية**، العدد 91، السنة 24، يوليوز 2015، ص 52.

في الجنوب الشرقي، وناحية سوس من جهة الغرب، وبلاد درعة من جهة الشمال وفي اتجاه الشرق والجنوب؛ حيث يمر وادي درعة.

ويتمحور الإطار المجالي لدراستنا بمجال باني تحديدا حول الواحات السبع الممتدة ما بين تمنارت وفم الحصن غربا، وتيسينت وفم زكيد شرقا، مرورا بأقا وطاطا وأقاإيغان، وهي الواحات المصنفة إلى جانب واحة آسا، ضمن منطقة"باني الغربي"[11].(أنظر الخريطة رقم2).

وقد أسهم الموقع الجغرافي لواحات باني؛ في جعلها ولفترات تاريخية غير يسيرة معبرا للسلع الآتية والمتجهة نحو بلاد السودان، كما يختزن المجال الطبيعي للمنطقة ثروة معدنية وحيوانية ما تزال النقوش والرسوم الصخرية شاهدة عليها. ثم إن الاستقرار السكاني القديم في المنطقة، وما تبعه من حركية سكانية، وتفاعل حضاري مبكر بين الاثيوبيين/ الحراطين(الحرَّاثين) المستقرين وباقي فئات الرحل والعناصر الوافدة، جعلها صلة وصل بين منطقة سوس وما بعدها شمالا، وبلاد درعة والصحراء جنوبا، وحاضرة في بناء جسور التواصل بينهما. فقد ارتبطت عبر التاريخ، بامتدادها السوسي، وعمقها الصحراوي، عبر علاقات متعددة الأبعاد؛ تاريخية وحضارية وثقافية وسياسية.

الخريطة رقم2: واحات باني؛ مجال الدراسة ضمن التراب المغربي

[11] -D. Jacques Meunié, **Le Maroc saharien des origines au XVI^{ème} siècle**, T 1, Librairie klincksieck, 1982 , p.p. 116 – 117.

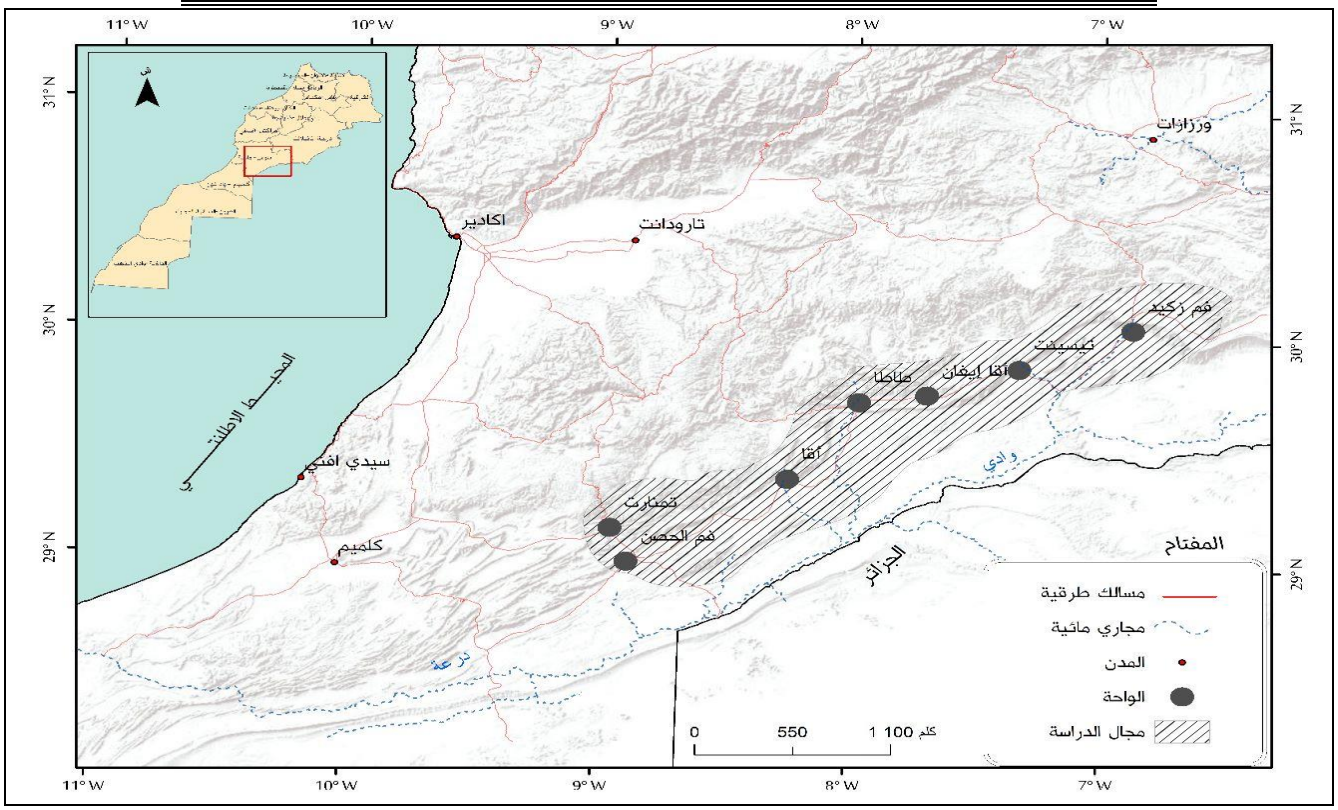

أولا: البعد الثقافي في السياحة الواحية وعناصر التراث الثقافي بواحات باني

دون الدخول فيما يطرحه تعريف السياحة ودلالاتها وأصنافها من إشكالات واختلافات، باختلاف خلفيات الدارسين والمؤسسات والمؤتمرات الدولية المهتمة، يمكن القول إنها في عمومها ترتكز على فعل حركة الإنسان وانتقاله من مكان إلى آخر

لتحقيق حاجياته المختلفة باختلاف مكان وزمان الرحلة. ووفق هذا المعنى برزت العديد من المفاهيم السياحية المعاصرة، واقترن بعضها إما بالثقافة أو الواحة أو الدين، مثل: السياحة الثقافية، والسياحة الواحية، والسياحة الدينية.

وتشمل"السياحة الواحية" مختلف الأنشطة السياحية التي تستهدف الواحات، في حين تقوم" السياحة الثقافية" على الربط بين السياحة والتراث الثقافي والتنمية، من خلال النظر إلى السياحة باعتبارها صناعة وفعلا، والثقافة تراثا، والتنمية مطمحا وأفقا مجتمعيا.

ويقوم الفعل السياحي الثقافي على أسس ومقومات، مثل الإقرار بمبدأ التنوع الثقافي، وما يفرضه ذلك من ضرورات تلبية الحاجيات الفكرية والمعرفية بين الثقافات المختلفة، لغاية تحقيق التلاقح الحضاري وتعزيز قيمة هذا النوع من التراث لدى الشعوب. وتعميق المعرفة بالتاريخ والتراث.

وبالمثل فإن السياحة الثقافية، تمكّن من تعميق المعرفة بأهمية الفعل السياحي وآثاره الإيجابية على مجمل نواحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والحضارية، ومن ضرورة الحفاظ على الموارد الأثرية والحضارية كثروة وطنية وعالمية وإنسانية، كما تُعَرِّف المواطن بمعالم وطنه الأثرية، إلى جانب المساهمة في الحركية الداخلية، وغير ذلك[12].

وإذ تأكد أن التراث الثقافي وعاء لتحقيق استمرارية وجود الإنسان وربط ماضيه بحاضره وبناء مستقبله، فإن السياحة الثقافية الواحية هي إحدى أدوات

[12]- قسطندي شوملي، **السياحة الثقافية في الضفة الغربية وقطاع غزة**، منشورات منتدى أبحاث السياسات الاجتماعية والاقتصادية في فلسطين، 1999، ص 8.

تحقيق ذلك الهدف وحفظه. ذلك أنه في أبعاده ومكوناته المتعددة، يشكل إحدى الروافد المؤسسة للسياحة، بل هو أس موضوعه[13].

فإلى جانب أثرها النفسي والذوقي- الجمالي[14]، فإن السياحة في بعدها الثقافي تجعل الزائر أو السائح يحقق فضوله الثقافي، ويكون تصورات متعددة الجوانب؛ فكرية ووجدانية ونفسية، خاصة وأن كل معلم من المعالم التراثية وكل ممارسة من الممارسات الثقافية، تختزن تاريخا محليا، وتعكس تجارب وأفعال إنسانية، وتعبر عن قضايا المجتمع الواحي وهمومه النفسية والروحية والبيئية [15].

وبالنظر إلى نموذج واحات باني مجال الدراسة، فإن مختلف عناصر التاريخ الحضاري لمجتمعها في علاقته التفاعلية مع هذا المجال البيئي الخاص، وما يبرزه ذلك

[13] - Claude Origet du Cluzeau, **Le tourisme culturel , Dynamique et prospective D'une passion durable**, institut français du tourisme ,1re édition , Bruxelles, 2013. P7.

[14] - عبد العزيز لعرج، "التراث الثقافي والسياحة"، **مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية**، مجلة علمية محكمة نصف سنوية، المجلد 4، العدد1، 2004، ص40.

[15] - حول مقومات السياحة الثقافية، انظر:

- Girolamo Cusimano et Maurizio Giannone, « Le tourisme culturel : De nouveaux produits pour de nouveaux territoires », in **La géographie culturelle vue d'Italie**, 64,2007, pp.35-51.

- Claude Origet du Cluzeau, **Le tourisme culturel, Dynamique et prospective D'une passion durable**, institut français du tourisme, op, cit. P10.

من خصوصيات، تشكل عنصر جذب ثقافي للسائح وأداة تنموية في الوقت نفسه. ويمكن إجمال بعض هذه المكونات في الخطاطة الآتية:

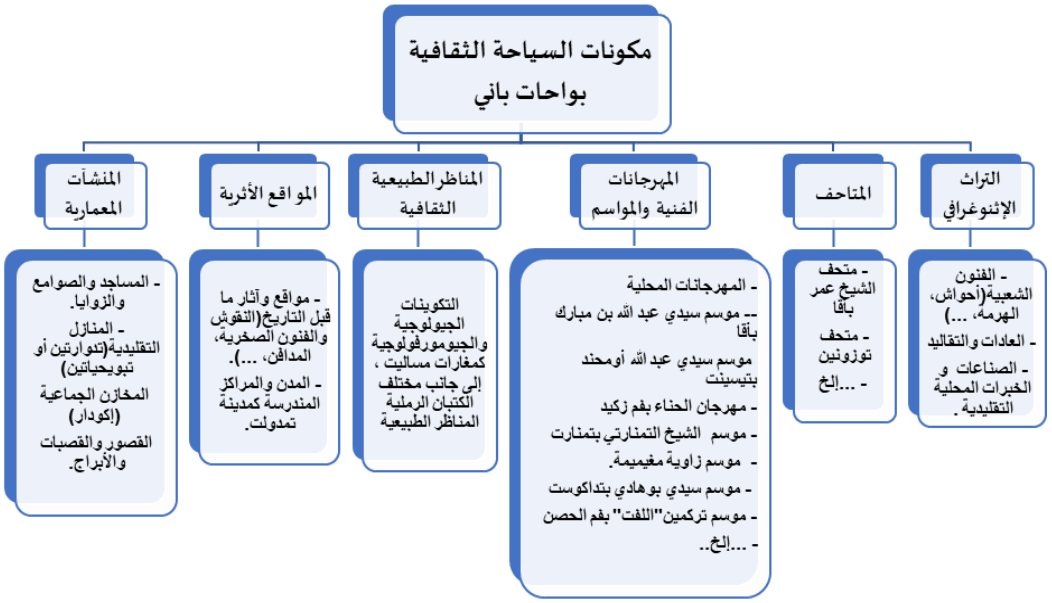

إن التراث الثقافي المادي والتراث الطبيعي لواحات باني، باعتبارهما دعامة السياحة الثقافية، يشكلان إحدى بدائل ومداخل التنمية الواحية، عبر توظيفهما السياحي، ذلك أن الاستثمار في هذا الحقل إلى جانب آثاره الاقتصادية؛ حيث يكون

عامل استقطاب للزوار والاستثمارات في المنطقة، قد يسهم في تنمية الأماكن التراثية، وتعزيز الهوية المحلية، وترسيخ الوعي بأهمية المعلم الثقافي وتقوية الروابط الاجتماعية[16].

وإذا كانت السياحة الدينية قد حظيت منذ القدم بمكانة هامة ضمن سياحة التراث الثقافي، بحكم ارتباطها بالجوانب الروحية والطقوس الدينية للمجتمعات الإنسانية، فإن أهميتها قد ازدادت مع توالي القرون والسنوات، خاصة في عصرنا الحالي حيث صارت عنصر جذب للسياح وللتنمية الاقتصادية.

إن الانتشار البارز للمعالم الدينية في مجال واحات باني، وحضورها المؤثر ضمن الحركية المجتمعية في الكثير من الواحات عبر التاريخ، يعد إحدى العوامل الرئيسية في الصناعة السياحية والجذب السياحي ذو الطابع الديني والروحي في المنطقة.

والواقع أن مقومات السياحة الدينية والروحية، لا تنفصل في جوانب منها عن مختلف عناصرها التاريخية والحضارية، وكذا مقومات بيئتها الطبيعية الواحية، وإلى جانبها مختلف المعالم الدينية التاريخية من بِيَع ومساجد ومدارس عتيقة وزوايا وأضرحة.

فزيارة الأماكن المقدسة وقبور الأولياء والصلحاء سواء خلال فترة مواسمها أو مهرجاناتها أو في غيرها، وإن كانت غايته الأساسية هي تلبية الحاجيات النفسية

[16]- منى محمد السيد وجمال باقر مطلك، "الاستثمار في التراث الثقافي"، **مجلة المنارة**، المجلد 26، العدد4، 2020، ص 148.

والروحية لدى زوارها؛ عبر إحياء ذكرى صاحب المكان وقدسيته، وتحقيق التواصل بين الأرواح قبل الأجساد، وما يعطيه ذلك من تفرد لهذا النمط السياحي، إذ إن السائح/الزائر قد يتحدى وعورة الطرق والمسالك وبساطة المأوى والأكل في سبيل تحقيق رغباته الروحية ومعتقداته الأسطورية في بعض الأحيان. فإن ذلك لا ينفي الأبعاد الاقتصادية والتنموية في الفعل السياحي الديني، والتي يمكن إجمالها في ثلاثة أبعاد كبرى، وهي:

- إن نشاط السياحة الدينية والروحية يحضّ على توفير الحاجيات التنظيمية والبنيات التحتية السياحية (فنادق، مطاعم، مسابح، وسائل النقل، ...)، مما يمكّن من توفير فرص الشغل في صفوف الشباب العاطل عن العمل.
- إن السياحة الدينية آلية من آليات إنعاش الأسواق المحلية وعرض المنتوجات الصناعية التقليدية المحلية في وجه الزوار.
- إن السياحة الدينية والأنشطة المرتبطة بها تفتح الباب أمام التشجيع على جلب الاستثمارات المحلية والوطنية والأجنبية.

ثانيا: المسارات السياحية والتنمية الثقافية بواحات باني: المعالم الدينية نموذجا

تتداخل الأهمية السياحية والتنموية للمسارات السياحية الثقافية بالواحات، فهي تيسّر اكتشاف المضامين الثقافية المعبرة عن عمقها التاريخي والثقافي، مع ما يتيحه ذلك من تحقيق التواصل مع عادات وتقاليد الساكنة المحلية،

كما تمكّن من التعرف على مشاهد من التراث الأثري والطبيعي للواحات، وما يجسده كل ذلك من تنوع وغنى في التراث الثقافي الواحي.

وإذ إن السياحة الثقافية الدينية وما يرتبط بها من أنشطة تقوم على استثمار الإنشاءات الدينية والروحية في النشاط السياحي من خلال جعل المساجد والبيَع والكنائس والأضرحة والزوايا والمدارس العتيقة، أو بقاياها، مصدر جذب للسياح والزوار لاستكشاف الواحات والتعرف عليها إنسانا ومجالا وتراثا، فقد اقترحت الدراسة تصورا أوليا لمسارات المعالم الدينية السياحية في واحات باني، في أفق تعميق النقاش والدراسة حول الموضوع من لدن كل الفاعلين والمتدخلين المعنيين محليا وجهويا ووطنيا، في سبيل تنزيل تلك المسارات على أرض الواقع وتعميمها على باقي مكونات التراث الثقافي بالمنطقة.

ويتيح المسار السياحي الديني الذي نقترحه، إلى جانب التعرف على المعالم الدينية والروحية في المنطقة، إمكانية التعرف على جوانب من تاريخ وحضارة واحات باني وتراثها الطبيعي. ويمكن استعمال هذه المسارات الطرقية من طرف السياح أو الزوار القادمين من الاتجاهات الثلاثة الآتية لإقليم طاطا:

- من شماله الغربي: أكّادير- طاطا عبر تيزنيت- بويزكارن، أو أكّادير - طاطا عبر تارودانت -إغرم.
- من جهته الشمالية الشرقية: ورزازات أو زاكورة - طاطا عبر تازناخت.
- من جهته الجنوبية الغربية: كلميم-طاطا عبر بويزكارن.

ونقترح أن يمر هذا المسار السياحي الديني لواحات باني عبر أربعة مراحل أساسية (أنظر الخريطة رقم 3)، وهي:

- مرحلة فم الحصن- تمنارت: وتمتد على طول حوالي 70كلم، ورغم وعورة المسالك الموصلة إلى بعض معالمه الدينية كما هو حال ضريح سيدي صالح بوادي إنفكّن، وما يطرحه ذلك من إكراهات، فإنها تمكن الزائر من التعرف على بعض العمائر الدينية والروحية التي طبعت ذاكرة وتاريخ مجال باني وسوس، وخاصة ضريح ومدرسة وموسم الشيخ محمد بن إبراهيم التمنارتي، وأضرحة إمي أو كّادير (فم الحصن)، وأطلال المعبد اليهودي في أكرض بتمنارت. ثم إن هذه المرحلة قد يكتشف عبرها الزائر بعض عناصر التراث الصخري من فنون ونقوش صخرية في عدد من المواقع الموجودة هناك. ولعل مما يعطي أهمية حضارية لهذه المرحلة، ما كشفت عنه بعض الأبحاث الأثرية من اختراق أحد المسالك التجارية القديمة لهذا المجال ما بين فم الحصن وتمنارت.

- مرحلة أيت وابلي- توزونين- أقا: وتمتد على طول حوالي 50كلم، وتتيح التعرف على إحدى الإنشاءات الدينية الرئيسية بواحات باني، خاصة مسجدي أكّادير أومغار والرحالة بأقا إلى جانب ضريح أحد مؤسسي الدولة السعدية الشيخ محمد بن مبارك الأقاوي، وكذا موسم الشيخ سيدي عبد الله بن مبارك، وبقايا المعابد اليهودية بأقا. وتتعزز الأهمية التاريخية لهذه المرحلة بمرورها بموقع تمدولت الأثري.

- مرحلة طاطا- تين تزارت- الجباير: ويمتد حوالي 35كلم، وتشمل مختلف الإنشاءات الدينية والروحية لطاطا المدينة ومحيطها، ومن أهمها ضريح شيخ الزاوية الهنائية سيدي محمد بن حسين بأكّادير الهناء، وكذا ضريح وزاوية الشيخ ماء العينين بأم الكّردان، وزاوية الجباير، والملاح اليهودي بتين تزارت.

- مرحلة تيسينت- فم زكيد: تمتد على طول أكثر من70كلم، وتضم عددا من المساجد والزوايا والأضرحة المعروفة في مركزي تيسينت وفم زكيد وأحوازهما، والتي كانت وماتزال تشكل مزارا لعدد من الزوار في باقي مناطق باني وسوس والصحراء، ومنها: زاوية وموسم سيدي عبد الله أُومحند وزاوية مغيميمة بتيسينت، ومسجد قصبة أم حنش التاريخي بفم زكيد، وضريح سيدي الفلاح، وغيرها.

الخريطة رقم3: المسار السياحي للعمائر الدينية بواحات باني

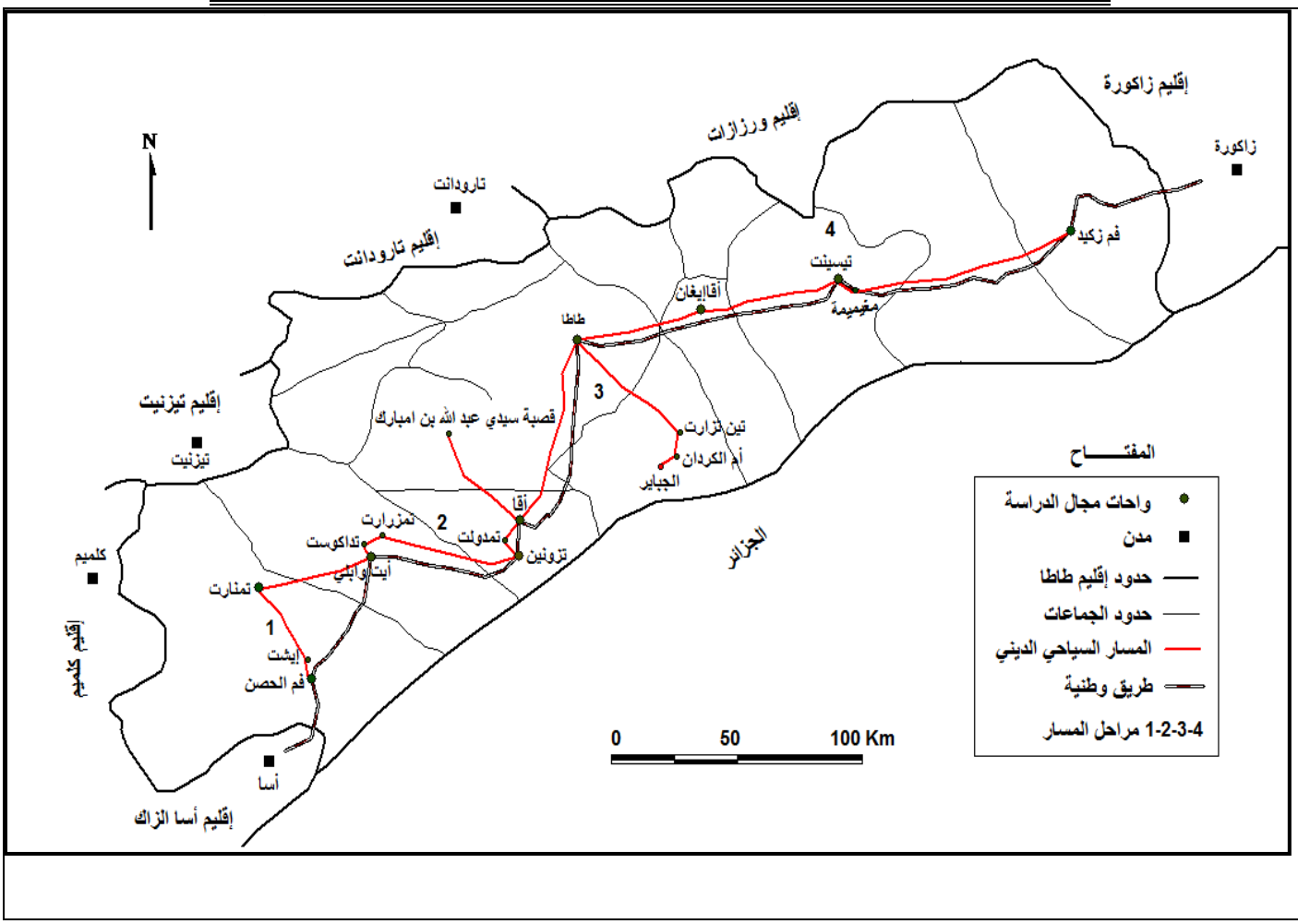

ثالثا: مقترحات في سبيل إعادة الاعتبار للتراث الثقافي في واحات باني

إن إعادة الاعتبار للعمائر الدينية والتراث الثقافي في واحات باني عموما، عبر حمايتها والحفاظ عليها، في أفق إدماجها واستثمارها ضمن السياحة الثقافية والبديلة وفي مجالات التنمية المحلية بالمنطقة، يقتضي القيام بجملة من التدابير والإجراءات، من ذلك نقترح ما يلي:

- تعميق البحث العلمي الأكاديمي حول التراث الثقافي لواحات باني.

- القيام بالأبحاث الأثرية في واحات باني من شأنه تعزيز أو إعادة النظر فيما جاء في بعض المصادر الإخبارية أو ما تناقلته الروايات الشفوية المتواترة.

- إنشاء مركز للتراث الثقافي بإقليم طاطا؛ تيمنا بتجارب وطنية، باعتبارها مؤسسات ذات أبعاد ثقافية وعلمية وتربوية، وتسهم في التعريف بمختلف أشكال التراث الطبيعي والأركيولوجي والإثنوغرافي.

- وضع خريطة أثرية وتراثية لواحات باني، من شأنه تسهيل تعرف السياح على مختلف المعالم التاريخية والأثرية في المنطقة.

- ترسيخ التربية التراثية عبر المناهج التعليمية المدرسية، يعد إحدى مداخل إرساء الوعي بالهوية المحلية وبناء الذات، في ظل عصر يشهد صراع الهويات والعولمة الرأسمالية وهيمنة نموذج الثقافة الغربية.

- ترسيخ الثقافة التراثية بالمجتمع الواحي من خلال توظيف المناهج التعليمية المدرسية الجهوية في التعريف بالتراث الثقافي الواحي، وإحداث مسالك جامعية حول التراث والآثار في الجامعات (وخاصة بجامعة ابن زهر بأكادير).

- استثمار التراث الديني الواحي في شقيه المادي واللامادي (مواسم الزوايا والأولياء، ساحات الزوايا، المساجد التاريخية، ...) آلية ومدخلا للحماية والاستثمار في مجال "السياحة الدينية".

- اعتماد الإعلام التراثي من خلال توظيف شبكة الإنترنيت عبر تأسيس مواقع ومجلات إلكترونية متخصصة في التعريف بالتراث الثقافي لواحات باني، والتحسيس بأهميته الحضارية، والتسويق لعناصره، في سبيل نشر الوعي به لدى الساكنة.

- تأهيل وترميم وصيانة بنايات المساجد القديمة والزوايا بالمنطقة، بما يتناسب مع طبيعتها، مع استحضار خصوصياتها البيئية والثقافية.

- حماية وترميم الأضرحة، ليس من باب"ترسيخ الفكر الخرافي، وإنما ترميم تراث معماري يساهم في الكشف عن ذهنية السكان"[17]، وذاكرة المكان وتاريخه.

- إعادة الاعتبار للمدارس العتيقة، مع ما يقتضيه ذلك من ضرورات التكيف مع تحولات العصر.

- إقامة متاحف محلية خاصة بالوثائق والممتلكات المادية للزوايا والمدارس العتيقة، وكذا أثاث المساجد، وفتحها أمام الباحثين والسياح. فالمتاحف بمختلف أنواعها هي أداة من أدوات التعريف والحماية للتاريخ والتراث الحضاري للمجتمعات، ومراكز لإثراء الثقافة والتربية والتعلم.

- ضرورة انفتاح العمل الجمعوي في المنطقة على التعريف بموروثها الثقافي.

[17]- سيدي محمد الكتاني،"الأضرحة: مجال للإرث الثقافي بواحة تودغا"، ضمن **ندوة التراث الثقافي المادي بجهة سوس ماسة درعة**، م س، ص 170.

- تطوير البنيات السياحية التراثية، وخاصة شبكة المواصلات والطرق والخدمات السياحية، باعتباره عناصر أساسية في ضمان استدامة التراث الثقافي السياحي.
- وضع أطلس سياحي – ثقافي لواحات باني.

على سبيل الختم:

إن تنوع وغنى التراث الثقافي بواحات باني لا ينفي حجم الإكراهات والتحديات التي يواجهها في واقعه اليوم، ومن ثمة فإن حماية التراث الواحي عامة والديني المادي خاصة، أمر لا يقل أهمية عن الاهتمام بالقضايا الراهنة لتنمية المجال الواحي ومجتمعه عبر مدخل التراث الثقافي الذي يعتبر قطب الرحى في تنمية هذا المجال.

وتعد المسارات السياحية إحدى الآليات العملية لفك العزلة التنموية بالمجالات الواحية عموما وواحات باني خصوصا، ورافدا لتحقيق التنمية البديلة في ظل ما تفرضه ظروف القحولة من ضعف ومحدودية فرص الاستثمار التنموي بها.

قائمة المصادر والمراجع:

- أعفيف (محمد)، **توات، مساهمة في دراسة مجتمعات الواحات وتاريخها**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة رسائل وأطروحات رقم 70، مطبعة أبي رقراق للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، الرباط، 2004.
- التويجري (عبد العزيز بن عثمان)، **التراث والهوية**، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة- إيسيسكو-، مطبعة الأيسيسكو، الرباط، 2001.
- السيد (منى محمد) وباقر مطلك(جمال)، "الاستثمار في التراث الثقافي"، **مجلة المنارة**، المجلد 26، العدد4، 2020، صص 141-168 .

- شوقي أبوليله (محمد محمد) وعلي فوده(مهند)، "المسارات التراثية السياحية كأداة لتحقيق التنمية المستدامة للمدن"، **مجلة جامعة الأزهر**، المجلد 12، العدد 4، يناير 2017، صص377- 394.

- العثماني (عبد الرحمان)، "التعمير والعمران الواحي: قصور وواحات فكيك نموذجا"، ضمن **ندوة التراث الثقافي المادي بجهة سوس ماسة درعة**، المنظمة يومي 13و14 مارس 2009، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية أكادير، منشورات مركز الدراسات التاريخية والبيئية بالمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية بالرباط، سلسلة دراسات وأبحاث رقم 35، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2013، صص 73- 89.

- قسطندي شوملي، **السياحة الثقافية في الضفة الغربية وقطاع غزة**، منشورات منتدى أبحاث السياسات الاجتماعية والاقتصادية في فلسطين، 1999.

- الكتاني (سيدي محمد)،"الأضرحة: مجال للإرث الثقافي بواحة تودغا"، ضمن **ندوة التراث الثقافي المادي بجهة سوس ماسة درعة**، المنظمة يومي 13و14 مارس 2009، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية أكادير، منشورات مركز الدراسات التاريخية والبيئية بالمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية بالرباط، سلسلة دراسات وأبحاث رقم 35، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2013، صص 155- 171.

- لعرج (عبد العزيز)، "التراث الثقافي والسياحة"، **مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية**، مجلة علمية محكمة نصف سنوية، المجلد 4، العدد1، 2004، صص 36- 44.

- الناصري (محمد)، "التراث وامتداداته كمجال عام"، ضمن **مجلة هسبريس تمودا**، العدد 45، 2010، ص ص 11- 23.

- نامي (مصطفى)، "مجتمع الواحات: تراث ثقافي بأبعاد إنسانية"، **مجلة المأثورات الشعبية**، العدد 91، السنة 24، يوليوز 2015، صص 49- 67.

- Cusimano(Girolamo) et Giannone (Maurizio) **,** « Le tourisme culturel : De nouveaux produits pour de nouveaux territoires », in **La géographie culturelle vue d'Italie**, 64,2007.pp.35-51.

- Claude Origet du Cluzeau, **Le tourisme culturel , Dynamique et prospective D'une passion durable**, institut français du tourisme ,1re édition , Bruxelles, 2013.

- Meunié (D. Jacques)**, Le Maroc saharien des origines au XVIème siècle**, T 1, Librairie klincksieck, 1982 .

- Mouhiddine(Mohamed), « Protection et valorisation du patrimoine naturel du Bas Drâa », in **conférence internationale: patrimoine culturel matériel dans la Région Sous - Massa – Drâa**, à la faculté des lettres et des science humaines Agadir (13- 14 Mars 2009), publication de l'Institut Royale de la Culture Amazighe, Série : Colloques et séminaire N° 35, Imprimerie El Maarif Al jadida, Rbat, 2013, PP.307-319.

- Poulot, (Dominique). **Patrimoine et modernité**, éditions L'Harmattan ,1998.

Signalisation Politique de touristique, Routes et circuits touristiques, Bibliothèque et Archives Canada, 2006.